الخاتمة

كثيرًا ما سمعنا وقرأنا ورأينا في واقعنا المعاصر عن انحراف كثير من الأبناء، وتوليد طاقات من الإبداع في مجال الرَّذيلة والفحشاء، إضافة إلىٰ سوء السلوك الذي أصبح العنوان البارز في كل مقام ومقال، ولم تجن المجتمعات من وراء هذه الأحداث إلا الخراب والدمار؛ وذلك لأن هذه السلبيات لم تعالج في داخل الأسرة المسلمة بآليات وأصول تقضي عليها وتؤصَّل لمجتمع إيماني يسير علىٰ النَّهج المستقيم، ويدفع بالأمة إلىٰ طريق الهدىٰ، والتحلِّي بمكارم الأخلاق، وإنما كان العلاج كلمات وعبارات تسمعها أذن وتخرجها أذن أخرىٰ دون وجود واقع عملي يرونه مثالاً حيًّا نابضًا بالحياة، بل فتحت أعينهم وأغلقت علىٰ حياة زوجية يهيمن عليها الصِّراع والنِّزاع والخصام والشِّقاق حتىٰ انتشرت سموم هذه السلبيات في جميع الأرجاء فكيف تنبت بذور السِّلْم في هذه الحياة والمنهج مفقود والقدوة الحسنة ليس لها وجود؟.

و(السِّلْم الأسري في ضوء المنهج القرآني «رؤية جديدة») وإن كان عبارة عن أقوال نظريَّة واستنباطات من نصوص قرآنية إلا أن فيه دعوة عملية إلىٰ تفعيل وحي السماء وتدعيمه بكل الوسائل والطرق التي تجعله في حيِّز التطبيق حتىٰ يعيش الأبناء في سِلْم وسلام في ظلِّ وجود أسرة تنطق أفعالها قبل أن تُسَطِّر أقلامها.

وبعد استعراض أحد عشر ملفًا يدفع بكيان الأسرة إلىٰ السَّلْم ويدعمها بكل وسائل الاستقرار إن تم وفق منهج القرآن، يمكن للباحث أن يخرج بعدة نتائج منها:

1- إن تفعيل المبادئ القرآنية التي تنادي بالسَّكن والمودة والرحمة لا يمكن إدراكها إلا بإدراك حقيقة الفروق المهمة بين الرجل والمرأة، ووظيفة كل منهما ودوره في الحياة حتىٰ تؤسس لحياة زوجية آمنة وسعيدة.

2- المعاشرة بالمعروف مبدأ مشترك بين الزوجين في آداء الحقوق والواجبات دون تفضيل أو تمييز، وتحقيق ذلك علىٰ أرض الواقع يقتضي أن يكون كلاهما كتابًا مقروءًا للآخر يقرأه قبل أن ترسم حروفه.

3- القوامة من المصطلحات التي ظلمت كثيرًا في واقعنا المعاصر وعودتها وفق منهج القرآن الكريم من الرِّعاية والعناية والأمانة والمسئولية يحلِّق بالحياة الأسريَّة في عالم السَّعادة والسَّلام والاطمئنان، فالمسألة تكليف لا تشريف.

4- قد يكون التَّعدُّد بين الزَّوجات مصدرًا من مصادر الحفاظ علىٰ الكيان الأسري والدفع به إلىٰ عالم من الاستقرار ما دام يتم تطبيقه بضوابطه التي أصَّل وقعَّد لها القرآن الكريم.

5- حصر السَّعادة والشَّقاء في الإنجاب وعدمه، أو في الانفراد بإنجاب الذكور أوالإناث، أو في الجمع بينهما مسألة في حاجة إلىٰ إعادة نظر، فللسَّعادة أبواب كثيرة أهمها الرِّضا برزق الله والتسليم بقضائه وقدره.

6- لا غضاضة في أن تتنازل الزَّوجة عن بعض حقوقها رغبة في استمرار الحياة الزوجيَّة إن اعترضها عارض من كبر أو مرض، وعلىٰ سبيل التأديب والتهذيب والتربية عند نشوز الزوجة يقدم المنهج القرآني أفضل الوسائل للحفاظ علىٰ الكيان الأسري دون تجاوز الحدود أو تعمُّد الإيذاء أو إلحاق الضرر.

7- إن عجز الرِّباط الأسري أن يستجيب لدواعي الصُّلح الدَّاخلي دعونا الصُّلح الخارجي للانعقاد من خلال حكمين -حكم من أهله وآخر من أهلها- شريطة العدل والإنصاف، والإصرار الجاد علىٰ محو آثار الخلاف.

8- إن صرخت كل مظاهر التوافق والتآلف في وجه كل من يدعو إليها وينادي بها، وفشلت كل محاولات الصُّلح الدَّاخلي والخارجي، لم يبق من وسائل إلا الطلاق أو الخلع، وليكن ولكن بعدل مطلق وإنصاف تام، فقد يكون هذا أو ذاك بداية لحياة أفضل ومستوىٰ أرقىٰ وأجمل.

9- قد تكون أيام العدَّة خير وسيلة لتسكين الآلام وتضميد الجراح ونبذ العداء وإعادة السِّلْم والسَّلام للكيان الأسري، فالدفء الأسري يستطيع أن يهزم برودة الوحدة التي يعتريها الخوف والضياع.

10- إن تصدَّعت الحياة الزوجيَّة وأوشكت علىٰ الانهيار فلفظت أنفاسها الأخيرة بالطَّلاق، فهذا لا يعني هدم البناء الأسري وإزالته بل يمكن الإصلاح ما صدقت النيات، وما دام في الإصلاح والبناء حياة، والعودة إلىٰ عُشِّ الزَّوجية فيه الحياة إن أحيط بالسِّلْم والسَّلام في رأب الصدع وغلق دائرة الخلاف.

11- إن فارق الزَّوج عالم الحياة ودخل إلىٰ عالم الأموات فمن الوفاء له أن تظلَّ الزَّوجة حافظة لذكراه من خلال أيام معدودات في صدق وإخلاص احترامًا وتقديرًا للميثاق الغليظ ورحلة الكفاح التي جمعت بينهما.

وبعد، فهذا هو منهج القرآن الكريم -دستور المسلمين- يضبط كل خُطْوة من خُطُوات أبنائه وأتباعه بآدابه وأحكامه وتشريعاته السَّامية، ويراعي مشاعرهم وأحاسيسهم في كل مرحلة من مراحل حياتهم، ويشير إليهم في كل لحظة بقبول السِّلْم والسَّلام ونبذ العنف والاعتداء، فالحقوق والواجبات ليست تشريفًا وإنما كانت تكليفًا، فمن أخذها بحقِّها عاش في كنف الأمن والأمان والهدوء والاستقرار، ومن فرَّط أو قصَّر تعدَّدت أسباب شقائه ورحلت سعادة أيامه.

فَقلِّب الصفحات ودوِّن المعلومات، ولا تنتقل من ملف قرآني إلىٰ آخر حتىٰ تدرك أبعاده، وتقف علىٰ حكمة تشريعه وما فيه من سِلْم وسلام، فهذا هو سُلَّم الوصول الذي يعيد الواقع الحديث إلىٰ المنهج الصَّحيح.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: 9].